

البلاغة الكلية عند حازم القرطاجني، من خلال مؤلفه "منهاج

البلغاء و سراج الأدباء"

بن شريط أم الخير، طالبة دكتوراه

د. كرييع عطاء الله، محاضر - أ -

مخبر: اللغة و الأدب العربي

جامعة : عمار ثليجي/ الأغواط

ملخص:

لقد شكل حازم من خلال مؤلفه " منهاج البغاء و سراج الأدباء " بداية مرحلة جديدة للفكر النقدي و البلاغي العربي. فقد طلع علينا بتصور جديد جسده مشروعه في صياغة بلاغة كلية قوامها التخييل الشعري و الإقناع الخطابي، و وصل إلى أن النظرية البلاغية تستوعب الشعر اليوناني و العربي و غيرهما. فما هي أهم روافد ثقافته النقدية و البلاغية و الفلسفية؟ و ما هي مرجعيات الدرس النقدي عنده؟

الكلمات المفاتيح: البلاغة الكلية، التخييل، المحاكاة، الشعرية، الحجاج.

ABSTRACTED:

HAZEM initiated by his book named:" MANHADJ AL BALOGHAA AND BOOK OF WRITERS" new stage in the critical thanking and the Arabic calligraphy he came to us with a new vision of his project in the formulation of a complete eloquence of poetic Imagination and rhetorical persuasion. He concluded that the rhetorical theory accommodates GREEK, ARABIC and other poetry

What are the main sources of his rhetorical and philosophical critical culture ? What are the references to the critical lessen ?

KEY WORDS: total eloquence, deception, simulation, poetic, pilgrims.

مهـاد:

منذ القرن الرابع الهجري بدأ يظهر تأثر النقد العربي القديم بالثقافات الأجنبية خاصة الفلسفة بعد أن كان هذا « النقد في جملته نقدا عمليا يتصل بالجزئيات... فقد كان محوره غالبا البيت والعبارة...ومن الصعب أن نجعل من هذه النظرات الجزئية فلسفة جمالية أو حتى بوادر نظرية عربية متكاملة، إلى حين اكتمال المشروع الفلسفي العربي بعد الاتصال العربي بأسباب الثقافة الأجنبية إثر الفتح الإسلامي وازدهار حركة الترجمة»¹.

وقد اشتهر من المترجمين يونس بن متى (ت 320 هـ) وسنان بن ثابت بن قرة (ت 360 هـ)، ويحيى بن عدي (ت 364 هـ) وقد كان أهم ما ترجموه الكتب المنطقية والطبيعية لأرسطو طاليس، فتلقفها الفلاسفة العرب بشوق ولهفة وعكفوا على دراستها وفهمها وتلخيصها وشرحها ومن ثم مقارنتها مع مثيلتها من العلوم العربية الخالصة و من ثمّة الاستفادة منها واستثمار ما جاء فيها، و من هؤلاء نجد من الفلاسفة ابن سينا (ت428 هـ)، وابن رشد (ت595 هـ)، والفارابي (ت339 هـ) وغيرهم.

وبرز من النقاد الذين استفادوا من التراث اليوناني الاستفادة الفهم والتطويع، والتميز دون النقل المباشر والانبهار: ابن البناء المراكشي العددي(ت721 هـ) في كتابه «الروض المريع في صناعة البديع»...وأبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي (ت656 هـ) صاحب «التنبهات على ما في التبيان من التموهيات»...وأبو محمد القاسم السجلماسي (ت604 هـ) في كتابه «المنزح البديع في تجنيس أساليب البديع»...وابن عصفور الإشبيلي (ت669 هـ) صاحب " كتاب « ضرائر الشعر»، وحازم القرطاجني (ت684 هـ) صاحب كتاب «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» وما بقي من كتاب القوافي...².

وسنركز في هذه المقال على أحد أبرز أعلام هذا التوجه، ألا وهو حازم القرطاجني* وكتابه: «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» في محاولة لبسط مشروعه الذي حمله هذا المؤلف، والمتمثل في: البحث في القوانين الكلية حيث كان هدفه « إنشاء: علم كلي هو علم البلاغة بقوانينها العامة، التي لا تهمها التقسيمات ولا التفرعات الجافة...وقد استطاع أن يؤصل كثيرا من الأنساق والمذاهب البلاغية...وكليات الشعر وجزئيات»³.

1- فما هي مرجعيات الدرس النقدي والبلاغي عند حازم ؟

2- ما هي أهم روافد الثقافة النقدية التي استند عليها في مشروعه؟

3- تعتبر جهود حازم بداية لكثير من النظريات الحديثة فأين تكمن نقاط التقاطع بين ما جاء به، وما ظهر حديثا من نظريات نقدية كالشعرية، وعناصر التواصل اللساني عند رومان جاكسون وغيرها؟ هذا ما تسعى هذه المقالة الإجابة عنه و التطرقت إليه.

1 - أهم مرجعيات الدرس النقدي والبلاغي عند حازم :

1-1 - المرجعيات العربية :

مما لا شك فيه تنوع المرجعيات الفكرية الثقافية عند حازم، وهذا راجع لما توفر له فيذكر أنه: « نشأ في وسط ممتاز ذي يسار...متقلبا بين قرطاجنة و مرسية ... مقبلا على التعلم، جادا في الدرس...حفظ القرآن الكريم طفلا، وأقبل على دراسة العلوم الشرعية واللغوية...وقد حمله شيخه أبو علي الشلوبين (ت 645 هـ) على الأخذ بالعلوم الحكمية الهيلينية* ووجهة إلى دراسة الخطابة والمنطق والشعر لما لمسه فيه من استعداد لها، وهذا أثر على حازم فصار متنوع الثقافة متعدد المشارب والمعارف...وبذلك نال حظا وقسطا وافرا من العلوم العقلية و الحكمية والمنطق والفلسفة»⁴.

كان حازم عقلية فذة، هضم العلوم التي سبقته وقرأ مؤلفات من سبقوه ففهمها واستفاد منها أيما استفادة، فلم يكن حين انقطع للتأليف مجرد ناقل، بل «يقرر أنه يتبني ما وصلت إليه جهود أسلافه في مجالي النقد والبلاغة فهو لا ينقضها...وإنما يتبناها على ما هي عليه، ويضيف إليها ما ينقصها في رأيه، إذ أنهم تكلموا في أشياء قتلوها بحثا، وتركوا نواحي منها، اختص بها حازم من وجهة نظره . فأخذ يصول ويجول فيها دون منازع»⁵ وقد ظهر واضحا « اتكاء القرطاجني على كتب من سبقه من النقاد والبلاغيين العرب...فهو كثيرا ما كان يحيل على مؤلفاتهم و تصانيفهم... فيلفت أحيانا الأنظار إلى آراء الجاحظ (ت 255هـ) و الأمدي (ت 631 هـ) والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ) وأبي الفرج الأصفهاني (ت 356 هـ)، ويتعرض بكثرة إلى مقالات قدامة بن جعفر (ت 337 هـ) وابن سنان الخفاجي (ت 466هـ)»⁶ في كتابه سر الفصاحة والذي يعتبر من أهم مصادره، « وهو حين يستشهد بكلام أحدهم يمزج العرض بالشرح، والتعليق والموازنة بينه وبين غيره من الآراء فكان حازم أحسن من اطلع على خير ثمار النقد العربي إلى عهده»⁷.

1-2 - المرجعيات الأجنبية :

سنحاول إبراز الدور الايجابي الذي لعبه، حازم، في تلاقي و تلاقح الثقافة العربية بالثقافة اليونانية في الأندلس. فقد استفاد من آراء كل من أرسطو (ت 322 ق.م) وأفلاطون (ت 347 ق.م) في الشعر والخطابة، «وإن كان رجوعه وإحاطته على الآراء اليونانية بالوساطة

عن طريق الفلاسفة المسلمين المتأثرين بالمنطق اليوناني من أمثال ابن سينا والفارابي ولكل منهما تلخيص لكتاب الشعر لأرسطو»⁸.

2- البلاغة الكلية عند حازم القرطاجني :

إن الحديث عن البلاغة الحازمية، إن صحت التسمية، حديث متشعب ثري فالبلاغة عند حازم ليست محصورة في علومها الثلاثة التي صرنا نعرفها بها دون غيرها من بديع وبيان ومعان ، بل حتى أن « السبيل إلى فهم حازم فهما دقيقا ليس كتب البلاغيين كقدامة وابن رشيق، وعبد القاهر،[وإن كان بحث وتصور عبد القاهر الجرجاني للبلاغة أقرب إلى عمل ونظرية حازم من غيره]، وإنما السبيل كتب الفلاسفة والمناطق كالفارابي وابن سينا وابن رشد الذين استطاع حازم تمثل أعمالهم تمثالا علميا دقيقا ومتميزا، واستثمر ما استوعبه من ذلك في ميدان البلاغة ونقد الشعر»⁹ فطلع علينا بنظريته، التي « كانت محصلة تفكير بلاغي نقدي فلسفي وشعري ، يقول حازم : « وإذ قد تبين هذا لمن طمحت به همته إلى مرعاة البلاغة المعسودة بالأصول المنطقية والحكمية ولم تسف به إلى حضيض صناعات اللسان الجزئية المبنية أكثر آرائها على شفا جرف هار »¹⁰

ومما نلاحظه أن حازم يرى في البلاغة علما يشمل علوم النقد مجتمعه فحينما قارن بين الشعرية اليونانية والشعرية العربية استنتج أن هناك شعرية كلية وبنفس المنطق عرف أن هناك بلاغة كلية، علما أن البلاغة لها جناحان هما الشعرية والحجاج .يقول حازم: « ولو وجد هذا الحكيم أرسطو في شعر اليونانيين ما يوجد في شعر العرب من كثرة الحكم والأمثال والاستدلالات واختلاف ضروب الإبداع في فنون الكلام لفظا ومعنى، وتبحرهم في أصناف المعاني وحسن تصرفهم في وضع الألفاظ بإزائها وفي إحكام مبانيها و اقتراناتها و لطف التفاتاتهم و تميماتهم وإستطاداتهم وحسن مأخذهم ومنازعتهم وتلاعيبهم بالأقاويل المخيلة كيف شاءوا لزيد على ما وضع من القوانين الشعرية »¹¹.

أي أن النظرية البلاغية التي تحوي الكليات الشعرية تستوعب الشعر اليوناني والعربي وغيرهما، وقد عرفنا أن البلاغة الحازمية تطير بجناحين، هما: الشعرية والحجاج، وهذا ما سنتطرق إليه.

2 - 1 - عناصر الشعرية عند حازم :

إن أهم ما يمكننا الإشارة إليه عند حديثنا عن عناصر الشعرية عند حازم أن أوّل هدف لتأليف كتابه المنهاج هو دفاعه عن الشعر الذي رأى أن أهل زمانه سفوه يقول : « وأن على شعراء المشرق المتأخرين وأعمى بصائرهم عن حقيقة الشعرية منذ مائتي سنة، فلم يوجد فيهم على طول هذه المدة من...الفحول ولا من ذهب مذاهبهم في تأصيل مبادئ الكلام

وإحكام وضعه وانتقاء مواده التي يجب نحتها منه، فخرجوا بذلك عن مهيع الشعر، ودخلوا في محض الكلام»¹². فأراد حازم من خلال كتابه وضع قوانين تحكم الشعر وتخرجه من دائرة الكلام الموزون المقفي التي أصبحت حتى عصره مفهوما عاما ففضاضا للشعر دون قيد أو شرط غير الوزن والقافية « لقد نظر حازم إلى الشعرية على أنها مجموعة من القوانين والقواعد التي تضبط عملية الصناعة الشعرية وتكسيبها خاصيتها وسماتها المحددة، وكل عمل لغوي لا يخضع لتلك القوانين إنما هو كلام ليس فيه من الشعر إلا الوزن والقافية »¹³ وقد وضع حازم مجموعة من الخصائص الفنية المميزة للشعرية، هي:

2-1-1- التخييل:

يُعرف حازم التخييل بقوله: « والتخييل أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل، أو معانيه، أو أسلوبه ونظامه، وتقوم في خياله صورة أو صور يفعل لتخليها وتصورها، أو تصور شيء آخر بها، انفعالا من غير روية، إلى جهة من الانبساط، أو الانقباض »¹⁴ وبهذا المفهوم فإن التخييل فعالية نفسية فنية تمس اللفظ والمعنى والأسلوب والنظم بشكل عام، أي أنه نمط من التصوير الفني له القدرة على تحريك المتلقى والتأثير فيه تأثيرا انفعاليا بحيث يؤدي بالمتلقي إلى القيام بعمل ما أو تركه وهذا من دون تفكير أو روية أو تمحيص، و من هنا فالجانب العقلي، بما يمثله من تفكير و روية، يتراجع ليفسح المجال أمام الجانب الانفعالي الوجداني»¹⁵

وبالتالي فالعملية الشعرية تخضع لعناصر أربعة تشكل مجتمعة أطراف الرسالة الشعرية، «هي: العالم الخارجي، والمبدع، والرسالة الشعرية، والمتلقي»¹⁶ ويفهم من هذا أن حازم يربط بصورة جلية بين التخييل والجانب النفسي لدى المتلقي، أي أن عملية التخييل هي عملية استجابة نفسية أو إدراكية لمؤثر أو أكثر انطوت عليه الصناعة الشعرية»¹⁷ تعرض حازم لقضية التصوير الحسي في الشعر وجعلها من مقوماته الجوهرية، يقول: « إن المعاني التي تتعلق بادراك الحس هي التي تدور عليها مقاصد الشعر وتكون مذكورة فيه لأنفسها، والمعاني المتعلقة بإدراك الذهن ليس لمقاصد الشعر حولها مدار »¹⁸ وحازم في تأكيده للطبيعة الحسية للمعاني الشعرية لا يبتعد عن الصواب إنه ينسجم انسجاما تاما مع رؤية النقد الأدبي قديما وحديثا.¹⁹

2-1-2- النظم والتركيب :

يقول حازم: " إن القول في شيء يصير مقبولا عند السامع في إبداع الصنعة، في اختيار اللفظ، وإجادة هيأته ومناسبتة لما وضع بإزائه »²⁰.

ومن خلال كلام حازم هذا نجد أنه يولي اهتماما بالغاً لحسن اختيار الألفاظ والتأليف بينها بطريقة جيدة وبين أثر هذا الاختيار في السامع قبولاً أو إعراضاً²¹.

2-1-3 - التماسك الدلالي (التماسك النصي):

يُعتبر حازم أول من خرج بالنقد الأدبي العربي القديم من حدود الجملة والجملتين ومن حدود البيت الواحد إلى القصيدة كاملة باعتبارها كلا متكاملًا، يقول: « اعلم أن الأبيات بالنسبة إلى الشعر المنظوم نظائر الحروف المقطعة من الكلام المؤلف، والفصول المؤلفة من الأبيات نظائر الكلم المؤلفة من الحروف، والقوائد المؤتلفة من الفصول نظائر العبارات، والقصيدة الشعرية تتشكل من أجزاء متتابعة و متعاقبة في الوقت نفسه، أطلق عليها اسم الفصول، وهذا التقسيم أمر تقتضيه طبيعة الكلام في الانتقال من فكرة إلى أخرى وتقتضيه أيضا حاجة المتلقي إلى الترويح عن النفس، والتخفيف من الضغط الدلالي المترابك عليه»²²

ويبين حازم أن لهذه الفصول التي تتكون منها القصيدة أو النص بصفة عامة مجموعة من القوانين، يقول: « والكلام فيما يرجع إلى ذوات الفصول وإلى ما يجب في وضعها وترتيب بعضه من بعض يشتمل على أربعة قوانين، هي:

القانون الأول: في استجادة مواد الفصول وانتقاء جوهرها.

القانون الثاني: في ترتيب الفصول و الموالاة بين بعضها البعض.

القانون الثالث: في ترتيب ما يقع في الفصول.

القانون الرابع: فيما يجب أن يقدم في الفصول وما يجب أن يؤخر فيها وتختتم به»²³.

« إن عملية التماسك الدلالي، عند حازم، تسير في خطين رئيسيين:

الأول: أن ينشأ الترابط بين الأبنية الصغرى، المتمثلة، عنده، في الأبيات الشعرية يقول حازم: «بحيث يكون لمعني البيت علقه بما قبله، ونسبة إليه»²⁴ و أن « يردف البيت الأول من الفصل بما يكون لائقا به من باقي معاني الفصل»²⁵.

الثاني: أن يحدث الترابط بين الفصول المتعاقبة، بحيث يتصل كل فصل بالذي يليه اتصالاً عضوياً، وهو ما أطلق عليه الاطراد في تسويم رؤوس الفصول»²⁶. ورغم أن ما يعاب على كتاب المنهاج، قلة التطبيق، إلا أن حازم قام بتطبيق أفكاره على قصيدة أبي الطيب المتبني، التي مطلعها:

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب * و أطلب منك الوصل و النجم أقرب»²⁷**

ويشير حازم إلى أنماط الارتباط الدلالي الممكنة بين الفصول المكونة للقصيدة، ويذكر منها أربعة أنماط ذات صبغة شمولية، هي: 1- التقابل، 2- السببية، 3- التفسير والتوضيح،

4- المحاكاة والمماثلة " 28 «و تحدث عن الفصول من جهة اشتمالها على المعاني، و من جهة معاضدة التخيل فيها بالإقناع، فقال: إنّ من الشعراء من يستطيع أن يصف فيبلغ الغاية و يبالح فيوهم السامع أكثر من الحقيقة في حين يقصر آخرون، و فيهم من يخل بالمعاني بزيادة أو نقص، و فيهم من يقتصر على المعاني المخيلة دون أن يعرج على الإقناعية و منهم من يعكس ذلك، و طلب الاعتدال و الترويح عن النفس كفعل أبي الطيب... و ابتدع اسمين لنوعين بلاغيين و ضعهما اهتداءً ببحثه في موضوع الفصول هذا، أولهما سماه التوسيم، و هو أنّه لما قسم الشعراء قصائدهم إلى فصول ليستجم القارئ والسامع، و اعتنوا باستفتاحات الفصول و صدورها بما يلائم و ينبه، و لما كان لفواتح الفصول في نظره تلك الأهمية سمّى الإجادة في ذلك التوسيم، و من أحسن في الباب المتنبّي... و الاسم الثاني الذي اخترعه: التحجيل » 29، قال: «و إذا ذلت أواخر الفصول بالأبيات الحكمية الاستدلالية، و اتضحت شيات المعاني بهذه الصفة على أعقابها، فكان لها ذلك بمنزل التحجيل زادت الفصول بذلك بهاءً و حسنا و وقعت في النفوس أحسن موقع

30»

2-1-4- ضرورة تلاقح النصوص وتفاعلها (التناص):

لم يُغفل حازم القرطاجني ضرورة تلاقح النصوص الشعرية، خاصة تفاعلها ويعتبر أن هذا أمر مهم ومؤثر في رفع مستوى شعر الشاعر، يقول: « وأنت لا تجد شاعرا مجيدا منهم إلا وقد لزم شاعرا آخر المدة الطويلة وتعلم منه قوانين النظم، واستفاد منه الدربة في أنحاء التصاريف البلاغية » 31. وهو يعني ما عُرف في القديم من رواية الشعر فنجد لكل شاعر رواية يروي أشعاره، يحفظها، ليغدو بعد ذلك شاعرا منفصلا عن كان يروي له « فالأعشى يروي أشعار المسيب بن علس، وطرفه يروي أشعار المتلمس وقد كان كل من يريد نظم الشعر وصوغه يلزم شاعرا يروي عنه شعره، وما يزال يروي له ولغيره حتى ينفق لسانه ويسيل عليه ينبوع الشعر والفن » 32 فتحصل له بالرواية الخبرة و الاستيعاب و الاستفادة من أشعار الغير وهذا ما أضحى يعرف في النقد بالتناص، وقد بيّن حازم هذا بقوله: « منها أن يركب الشاعر على المعني معنى آخر، ومنها أن يزيد عليه زيادة حسنة، ومنها أن ينقله إلى موضع أحق به من الموضع الذي هو فيه، ومن ذلك أن يقلبه ويسلك به ضد ما سلك الأول » 33 وفي هذا شرح لطرق الاستفادة من معاني الشعراء بعضهم من بعض.

2-1-5- الإغراب و التعجيب (الانزياح):

« يقصد حازم بالإغراب و التعجيب، هو الخروج عن المألوف في التراكيب، والتقاط النادر منها البعيد عما هو متوارد على الأذهان فهو يسعى إلى كسر رتابة الشيء المألوف

والإتيان بكل ما هو مستطرف غريب»³⁴. يقول: « فان الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقتربت بحركتها الخيالية قوى انفعالها وتأثرها »³⁵... « والتعجب يكون باستبداع ما يثيره الشاعر من لطائف الكلام التي يقلل التهدي إلى مثلها، فورودها مستندر مستطرق لذلك»³⁶.

2-1-6- الوزن والإيقاع:

يُعرف حازم القرطاجني الشعر، بقوله: « الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها ويكره إليها ما قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمن من حسن تخييل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها، أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام أو قوة صدقه، أو قوة شهرته، أو بمجموع ذلك وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب»³⁷. فعماد الشعر عند حازم جودة في هيئة الكلام، ومحاكاة، ووزن وقافية، وتخييل حسن للمعنى، وضرب من الإغراب يؤدي إلى حدوث التعجب وهذا ما يساعد الشعر على التأثير في المتلقي.³⁸ ونجد أن حازم يرى أن الوزن والقافية من العناصر المهمة لقيام الشعر، إلا أنه يقف ضد من يرى فيهما العنصران الوحيدان اللذان يقوم عليهما الشعر، يقول: « وكذلك ظن هذا أن الشعرية في الشعر إنما هي نظم أي لفظ اتفق كيف اتفق نظمه، وتضمنه أي غرض اتفق على أي صورة اتفق لا يعتبر عنده في ذلك قانون ولا رسم موضوع، وإنما المعبر عنه إجراء الكلام على الوزن والنفاذ به إلى القافية»³⁹.

وفي هذه الفقرة الأخيرة رأي واضح وصريح أن الشعر لا يختصر في الوزن والقافية وإن حدث، فإنه فاسد لا معنى له. « ومن ناحية أخرى يلتفت حازم إلى خاصية شعرية تتولد من الوزن الشعري وتساهم بطريقه جديده في تنظيم بنائه اللغوي وهي ظاهرة التناسب الصوتي، فهي تُعدُّ وسيلة من وسائل البناء الشعري، ونتيجة له في الوقت نفسه. يقول: « كلما وردت أنواع الشيء وضروبه مترتبة على نظام متشاكل وتأليف متناسب، كان ذلك أدعى لتعجب النفس وإيلاعها بالاستماع من الشيء، ووقع منها الموقع الذي يرتاح له »⁴⁰. « ويحدد حازم عدد من القواعد التحويلية الإجرائية كالحذف والإضافة والإبدال والتعديل والتقديم وغيرها، فالمبدع يستطيع تحقيق ظاهرة التناسب بين العناصر اللغوية من خلال إسكان متحرك أو تحريك الساكن، أو زيادة في اللفظ أو نقص منه، أو عدل صيغة إلى أخرى، أو تقديم وتأخير أو إبدال لفظة مكان أخرى، أو اجتماع أكثر من واحد من هذه التغيرات»⁴¹.

2-1-7- التذوق الفني :

يرى حازم أن التذوق الفني السليم ركن أساسي من أركان العناصر الشعرية « فإن الذوق يكسب القوانين مرونة في كل من وعى الشاعر والناقد على الرغم من خضوع النص إلى

قوانين كلية». ⁴² يقول حازم: « إنَّ من المعاني المعبر عنها بالعبارات الحسنه ما تدرك له من تلك العبارات حسنا لا تدرك له في غيرها من العبارات، ولا تقدر أن تعبر عن الوجه الذي من أجله حَسُنَ إيراد ذلك المعنى في تلك العبارات دون غيرها، ولا تعرب عن كنه حقيقته، إنَّما هو شيء يدركه الطبع السليم والفكر السديد، ولا يستطيع فيه اللسان مجازاة الهاجس». ⁴³ «لقد جمع حازم بين التراثين العربي واليوناني فكان بهذا الفيلسوف الناقد، والناقد الفيلسوف، استطاع أن يبلور نظريه في الشعرية تحكمها مجموعه من القوانين والنظم التي تتحكم في عملية إنتاج النصوص الشعرية من ناحية، ونقدها وتحليلها وكشف أبعادها من جهة أخرى». ⁴⁴ حصر حازم قواعد الشعرية، كما رأينا في ثمانية عناصر، تتفاوت فيما بينها فاعلية وتأثيرا، هي التخيل، التصوير الحسي، النظم والتركيب، تلاقح النصوص وتفاعلها (التناص) التماسك الدلالي الذي وضع له أربعة قوانين، كما بيَّناها، والذي أصبح يعرف بالتماسك النصي في اللسانيات النصية الحديثة، الإغراب والتعجيب وهو في مفهومه قريب من الانزياح والعدول، الوزن والإيقاع، والتذوق الفني وبهذا نجد أن حازم اقترب جدا من الشعرية المعاصرة لأن نظريته للشعرية (في الشعر والنثر) تحيط بجوانب العمل الأدبي و تتحرك على مستوى السطوح والأعماق، فهي تتناول الأبنية اللغوية وما ينشأ بينها من علاقات نحوية متشابكة متقاطعة وهذا يمثل المستوى السطحي، وتعمل على مستوى الأعماق فتكشف عن الأبنية الدلالية الكبرى، والأبنية الصغرى، وما يقوم بينهما من تلاحم دلالي وتركيب ي حفظ للنص تماسكه و وحدته». ⁴⁵

و بهذا نجد أن « الشعرية عند حازم تتجاوز مسألة هل الشعرية علم للأدب أم علم للشعر؟ فمفاهيمها تتناول مسألة تداخل الأجناس الأدبية رغم تأخرها الزمني، ففيها اعتراف بأنَّ العنصر الشعري غير معدوم في النثر، و العنصر الخطابي غير معدوم في الشعر» ⁴⁶، يقول حازم: « إنَّ صناعة الشعر تستعمل يسيرا من الأقوال الخطابية، كما أن الخطابة تستعمل يسيرا من الأقوال الشعرية لتعتضد المحاكاة بالإقناع، و الإقناع في تلك بالمحاكاة» ⁴⁷.

2 - 2 - الحجاج عند حازم:

كنا انطلقنا من فكره مفادها أن البلاغة عند حازم ليست البلاغة التي حصرت في البيان والمعاني والبدیع، هذه الأخيرة التي أطلق عليها اسم البلاغة المعممة أو المعيارية أو المدرسية. إنَّما البلاغة عند حازم هي العلم الكلي، أي أنَّها كل أشكال القول الفني المبني على الاحتمال، أي هي التخيل والتداول فيما ينتج من خطاب فهي بهذا التشخيص فيما

ينتج من خطاب إبداعي سواء أكان تخيليا كما هو الشأن بالنسبة للشعر، وكل الأجناس التي تسعى للاحتفاء باللّغة، أم كان إقناعيا مثل الخطابة أو الجدل أو كل أصناف الخطاب التي تسعى إلى إذعان المتلقي. كما « يرى حازم أن علم البلاغة يشتمل على صناعتي الشعر والخطابة فهما مشتركان في مادة المعاني و مفترقان في التخيل والإقناع، وقد قارن في مناسبات عديدة بين الشعر والخطابة كما عرض لمكونات الحجاج. »⁴⁸ والحجاج جزء من صميم البلاغة فهو يرتبط بكل ما دُفع به الخصم عدا العنف والإكراه فالحجاج بلاغه والبلاغة حجاج.

3- جديد حازم:

3-1- الخروج من دائرة الصدق والكذب إلى التخيل:

عالج حازم قضية الصدق والكذب بطريقه جديدة حين رأى أنّ الشعر تخيل و التخيل لا علاقة له بالكذب وهو محصور بين التقصير والاستحالة أو ما سماه بالاختلاق الإمكانى* يقول: « وإنما احتجت إلى وقوع الأقاويل الصادقة في الشعر لأرفع الشبهة الداخلة في ذلك على القول، حيث ظنوا أنّ الأقاويل الشعرية لا تكون إلّا كاذبه، وهذا قول فاسد قد رده أبو علي بن سينا في غير ما موضع من كتبه، لأنّ الاعتبار في الشعر إنّما هو التخيل في أي مادة اتفق، لا يشترط في ذلك صدق ولا كذب، بل أيهما اختلفت الأقاويل المخيلة منه فبالغرض، لأنّ صنعة الشاعر هي جودة التأليف وحسن المحاكاة، وموضوعها الألفاظ وما تدل عليه.»⁴⁹ كما نص حازم على وجود الأقاويل الصادقة في الشعر وبرر الكذب الإختلاقي فنيا وشرعيا، قال: « الكذب الإختلاقي في أغراض الشعر لا يعاب من جهة الصناعة لانّ النفس قابلة له، إذ لا استدلال على كونه كذبا من جهة القول، ولا العقل، فلم يبق إلّا أن يعاب من جهة الدين، وقد رفع الحجاج عن مثل هذا الكذب أيضا في الدين، فان الرسول ﷺ كان يُنشد النسيب أمامه في المدح فيصغي إليه ويثيب عليه.»⁵⁰

3-2- المتلقي عند حازم:

اهتم حازم اهتماما بالغا بالمتلقي وجعله طرفا مهما في « جوهر العملية الإبداعية، في شقيها التخيلي والإقناعي معا، حيث أولى حازم التلقي وما يرتبط به من مصطلحات اهتماما خاصا في تحديد ماهية القول الشعري وبيان وظائفه وكذا تحديد " ما يضطلع به القول الخطابي من إقناع و إذعان المتلقي، كما استعمل ألفاظا ومصطلحات خاصة بأثر الكلام في نفس المتلقي، منها: أثر، ألفة، بسيط، قبض، بعث، ابتهاج، حرك، ارتياح، شجو، تعجيب، استعذاب، استغراب، إقناع، استلذاذ، ولع، اكتراث...»⁵¹

3-3- عناصر الرسالة اللغوية بين رومان جاكبسون وحازم القرطاجني:

يقول حازم: « بأنّ الأقاويل الشعرية تختلف مذاهبها وأنحاء الاعتماد فيها بحسب الجهة أو الجهات التي يعتني فيها بإيقاع الحيل التي هي عمدة في إنهاض النفوس لفعل شيء أو تركه أو التي هي " أعوان للعمدة وتلك الجهات، هي: ما يرجع إلى القول نفسه أو ما يرجع إلى القائل، أو ما يرجع إلى المقول فيه، أو ما يرجع إلى المقول له ».⁵²

وحين نقابل هذه العناصر مع عناصر الرسالة اللغوية عند رومان جاكبسون نجد:

جهات الأقاويل الشعرية عند حازم القرطاجني	ما يقابلها من عناصر الرسالة اللغوية عند رومان جاكبسون
01 ما يرجع إلى القول نفسه	الرسالة
02 ما يرجع إلى القائل	المرسل
03 ما يرجع إلى المقول فيه	السياق (القناة)
04 ما يرجع إلى المقول له	المرسل إليه

ثم يشرح أكثر فيقول: «الحيلة فيما يرجع إلى القول وإلى القول فيه وهي محاكاته وتخيله بما يرجع إليه، أو بما هو مثال لما يرجع إليه هما عمودا هذه الصنعة، وما يرجع إلى القائل والمقول له كأعوان والدعامات لها»⁵³ فحازم يركز على الرسالة (القول) وعلى السياق (المقول له) في الوظيفة الأدبية ويرى أنّهما العنصران الأكثر أهمية وهما عمودا هذه الوظيفة ليكون المرسل والمرسل إليه دعامتان وعنوان لتحقيق هذه المفاعلة.⁵⁴

4- نتائج البحث:

من خلال تتبع خطوات هذا المقال، كانت أهم النتائج التي خلصت إليها، تتمثل في: القيمة الكبيرة لهذا الكتاب: "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" الذي يدرك المطلع عليه عبقرية مؤلفه وحسن هضمه للعلوم العربية و الهيلينية السابقة لعصره والمعاصرة له إذ يعتبر الكتاب همزة وصل بين المنطق اليوناني والبلاغة العربية. فالكتاب منجم لم يتم اكتشاف كل أسرارها لأننا ببساطة بحاجة أولا لشرحه ثم بعد ذلك تتوالي الدراسات الجادة لتفتيح مكامن الإبداع فيه والجدّة التي سبق بها حازم عصره بقرون.

يرى حازم أنّ البلاغة هي العلم الكلي الذي يهيمن على غيره فقد خرج بالبلاغة العربية التي ولدت في رحم مباحث إعجاز القرآن الكريم إلى وجهة مختلفة جمع فيها حازم بين الشعر والنثر وإن كان مجال تركيزه على (الشعر) بحيث حاول إنشاء بلاغته، و التي تجمع البلاغات التي سبقته (بلاغة اللفظ ، بلاغة المعنى ، وما تركب منهما) .

سبق حازم رومان جاكسون في وضعه لنظرية التواصل اللغوي بتحديدده لأربعة عناصر منها، مبينا أهميتها في تبليغ الرسالة الأدبية وتأدية وظيفتها.

وضع حازم قوانين كلية للصناعة الشعرية وتجاوز بهذه القوانين فكرة الطبع في قول الشعر، التي قال بها الجاحظ ورأى أنّ العرب يتميزون بها دون غيرهم من الأمم.

أخرج حازم الشعر من مجرد كونه كلاما موزونا مقفى ذي معنى إلى ضرورة وجود التخيل والمحاكاة والإغراب والتعجيب ليؤدي الشعر دورا فعالا في نفسية المتلقي بتحبيب أشياء له أو تنفيره منها دون وعي منه، وهذا ما بات يعرف بالأنساق الثقافية المضمرة التي تتحرك تحت عباءة الجمالي والتي اهتم بها النقد الثقافي بعد أن عجز النقد الأدبي في بحثه عن الأدبية والجمالية في القبض عليها.

بيّن حازم أنّ التخيل في الشعر يقع من أربعة أنحاء من ناحية المعنى، من ناحية الأسلوب من ناحية اللفظ، من ناحية النظم والوزن.

وجد حازم حلا جذريا لقضية الصدق والكذب حين قال أنّ الشعر تخيل و التخيل لا علاقة له بالكذب.

الهوامش:

¹ - قاسمية هاشمي: الخلفيات الفلسفية للنقد الأدبي ، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها /العدد:9/جويلية 2016، ص: 116.

² - ينظر: جميل الحمداوي: المدرسة المغربية في النقد العربي القديم، مجلة حوليات التراث/ جامعة مستغانم / العدد 12 / 2012، ص: 114/113.

*القرطاجني، هو: أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم القرطاجني شاعر و أديب، كان من أهل قرطاجنة (شرق الأندلس) تعلم بها و بمرسية و أخذ عن علماء غرناطة و إشبيلية، تتلمذ لأبي علي الشلوبين، ثم هاجر إلى مراكش و منها إلى تونس، فاشتهر و عمّر بها، توفي في 684هـ.

³ - ينظر : محمد كوشنان: في نظرية النقد القديم: دراسة في أسس النظرية النقدية والبلاغية عند حازم القرطاجني/ أطروحة دكتوراه/ جامعة أبو بكر بلقايد/ تلمسان/ (2017/2016) / قسم اللغة و الأدب العربي. ص : ب (مقدمة).

* الهيلينية هي اليونانية القديمة .

⁴ - ينظر : نجيب جحيش: قضايا الدرس العروضي عند حازم القرطاجني/ رسالة ماجستير/ قسم اللغة والأدب العربي/ جامعة محمود منتوري/ قسنطينة/(2008/2009)/الجزائر. ص: 25.

⁵ - عمر إدريس عبد المطلب : حازم القرطاجني حياته ومنهجه البلاغي، دار الجنارية للنشر والتوزيع، الأردن، 2009، ص: 89.

- 6 - محمد كوشنان، مرجع سابق ، ص: 69 / 68 .
- 7 - ينظر : المرجع السابق، ص: 81.
- 8 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 81.
- 9 - نجيب جحيش: قضايا الدرس العروضي عند حازم القرطاجني/ مرجع سابق، ص: 26.
- 10 - القرطاجني، أبو الحسن حازم. تح: محمد الحبيب بن الخوجة: منهاج البلغاء و سراج الأدباء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 3، (1986). ص: 231.
- 11 - المصدر نفسه، ص: 69/68.
- 12 - المصدر نفسه، ص: 10.
- 13 - محمد صلاح أبو حميدة: عناصر الشعرية عند حازم القرطاجني، جوان 2002، ص: 06.
- 14 المنهاج، مصدر سابق، ص: 89.
- 15 - محمد خليفة: النظرية النقدية العربية في الفكر الفلسفي النقدي حتى القرن السابع الهجري، المطبعة العربية / غرداية ، الجزائر، دط، دس، ص: 173 / 172.
- 16 - محمد صلاح أبو حميدة، مقال سابق، ص: 13.
- 17 - المقال نفسه، ص: 12.
- 18 - المنهاج ، مصدر سابق، ص: 29.
- 19 - المنهاج، المصدر نفسه، ص: 19.
- 20 - المنهاج، المصدر نفسه، ص: 346.
- 21 - ينظر: أبو حميدة محمد صلاح، المقال نفسه، ص: 21/20.
- 22 - المنهاج، المصدر السابق، ص: 287.
- 23 - محمد صلاح أبو حميدة، المرجع نفسه، ص: 25.
- 24 - المنهاج، المصدر السابق، ص: 289.
- 25 - المصدر نفسه، ص: 290.
- 26 - المرجع السابق، ص: 26.
- 27 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 26.
- 28 - المرجع نفسه، ص: 26.
- 29 - محمد رضوان الداية: تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، مؤسسة الرسالة، دط، دس، ص: 522.
- 30 - المنهاج، مصدر سابق، ص: 300.
- 31 - المنهاج، مصدر سابق، ص: 27.
- 32 - إصناف سلمان علوان الدليمي: رواية الشعر الجاهلي، شبكة جامعة بابل، محاضرة، بتاريخ: 01 / 22 / 2018.
- 33 - المنهاج، مصدر سابق، ص: 193.
- 34 - ينظر: محمد صلاح أبو حميدة، عناصر الشعرية عند حازم، مرجع سابق، ص: 33/32.
- 35 - المنهاج، مصدر سابق، ص: 71.
- 36 - المنهاج، مصدر سابق، ص: 90.

- 37 - المنهاج، مصدر سابق، ص: 71.
- 38 - خليفة محمد، النظرية النقدية العربية في الفكر الفلسفي النقدي حتى القرن السابع الهجري، مرجع سابق، ص: 171.
- 39 - المنهاج، مصدر سابق، ص: 28.
- 40 - المنهاج، مصدر سابق، ص: 245.
- 41 - المنهاج، مصدر سابق، ص: 211.
- 42 - محمد صلاح أبو حميدة، مرجع سابق، ص: 37.
- 43 - المنهاج، مصدر سابق، ص: 372.
- 44 - المرجع السابق، ص: 37.
- 45 - المرجع نفسه، ص: 38/37.
- 46 - الرحموني بومناش، الشعرية بين أرسطو طاليس وحازم قرطاجني، دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، قسم اللغة العربية، باتنة، (2008 / 2009)، الجزائر، ص: 67.
- 47 - المنهاج، مصدر سابق، ص: 293.
- 48 - محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا شرق، المغرب، دط، دس، ص: 500.
- * - الاختلاق الإمكانى: مثل ادعاء الحب

- 49 - المنهاج، مصدر سابق، ص: 81.
- ** - في إشارة إلى قصيدة كعب بن زهير، البردة، التي أنشدها أمام رسول الله ﷺ، يمدحه فيها ويستعطفه وكان بدأها بالنسيب بانت سعاد فقلبي اليوم متبول، ولما استحسناها صلى الله عليه وسلم عفا عنه وخلع عليه بردته.
- 50 - محمد العمري، نفس المرجع، ص: 508.
- 51 - ينظر: عبد الرحيم وهابي، قراءة في كتاب التلقي لدى حازم القرطاجني من خلال "منهاج البلغاء وسراج الأدياء" للدكتور محمد بلحسن.
- 52 - المنهاج، مصدر سابق، ص: 364.
- 53 - المنهاج، مصدر سابق، ص: 346.
- 54 - ينظر: محمد صلاح أبو حميدة، عناصر الشعرية عند حازم، مرجع سابق، ص: 10.

قائمة المصادر والمرجع:

المصادر:

- 1/ منهاج البلغاء وسراج الأدياء لأبي الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، 1986.

المراجع:

- 1/ البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، دط، دس.
- 2/ تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، دط، دس.

3/ حازم القرطاجني، حياته ومنهجه البلاغي، عمر إدريس عبد المطلب، دار الجنادرية للنشر والتوزيع ، الأردن ، د ط ، 2009.

4/ نظرية المعنى عند حازم القرطاجني، فاطمة عبد الله الوهبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط 1 ، 2002.

5/ النظرية النقدية العربية في الفكر الفلسفي النقدي حتى القرن السابع الهجري، محمد خليفة، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، د ط، د س.

الرسائل الأطروحات :

1/ الشعرية بين أرسطو طاليس وحازم قرطاجني، دراسة مقارنة، الرحموني بومقاش، رسالة ماجستير، 2009/2008، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر.

2/ في نظرية النقد القديم: دراسة في أسس النظرية النقدية والبلاغية عند حازم القرطاجني، محمد كوشنان، أطروحة دكتوراه، 2017/2016، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر.

3/ قضايا الدرس العروضي عند حازم القرطاجني، نجيب جحيش، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009 / 2008، الجزائر.

البحوث والمقالات :

1/ تقرير حول كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء لأبي الحسن حازم القرطاجني، عمر أسراطي، شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة : 2016/10/27.

2/ الخلفيات الفلسفية للنقد الأدبي، قاسمية هاشمي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد:9، جويلية 2016.

3/ رواية الشعر الجاهلي، إنصاف سلمان علوان الدليمي، شبكة جامعة بابل، محاضرة، بتاريخ: 01/22 /2018.

4/ عناصر الشعرية عند حازم القرطاجني، محمد صلاح أبو حميدة، مقال(على المشبك).

5/ المدرسة المغربية في النقد العربي القديم، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد12 ، 2012 ، ص: 113 ، 125. ([http:// annales.univ-mosta.dz](http://annales.univ-mosta.dz))

6/ قراءة في كتاب التلقي لدى حازم القرطاجني من خلال منهاج البلغاء وسراج الأدباء للدكتور محمد بنلحسن، قراءة عبد الرحيم وهابي (على المشبك).

[http:// mohamed benlahcen.voila.net/images/mohamed.gif](http://mohamedbenlahcen.voila.net/images/mohamed.gif)